الباب الرابع

نطاق القوة الناعمة الإيرانية

قوة إيران الناعمة في العالم الاسلامي:

يعتقد جوزيف ناي أن الرئيس محمود أحمدي نجاد بسط قوة إيران الناعمة في العالم الاسلامي بسبب مواقفه ضد الكيان الصهيوني وأن المواقف التي اعتمدها ازاء الكيان الصهيوني وانتقاداته الشديدة له تعتبر من أهم العوامل التي أدت إلي بسط قوة إيران الناعمة لدي العالم الاسلامي[1] .

ولدي إجابته علي سؤال عن تقييمه لإستخدام أمريكا القوة الناعمة ضد ايران قال ان أي شخص أو حكومة بإمكانها استخدام هذه القوة حتي ايران بإعتبارها زعيمه الشيعة تبذل جهودها لإستقطاب الآخرين من خلال القوة الناعمة وأمريكا لأنها زعيم الديمقراطية تستخدم هذه القوة لكسب الآخرين ودور القوة الناعمة يكمن مثلاً في أن أحداً يصبح ناصراً لإيران بسبب ثورتها وهذا لايعني أن ذلك الشخص أصبح من المعجبين بها من خلال رسالة معينة وهذا الأمر يمكن أن يحدث لأمريكا بسبب ديمقراطيتها وايران التي أصبحت رمزا للتحرر ونشر القيم والمباديء التي تؤمن بها باتت تواجه الاحترام من البقية لذا فإن قوتها الناعمة

---

(١) القوة الناعمة – المؤلف ص ١٣٨

تزداد فى الدول الاسلامية بسبب انتقادها أمريكا لإحتلال العراق بين المسلمين وهو ما نشاهده لدي الشعب العراقي حالياً.

إيران تتغلغل فى أفغانستان بالقوة الناعمة

هناك اتهامات توجه للدور الإيراني في أفغانستان تتمثل في العبث بالنسيج الديمغرافي في الجارة ، عبر دعم طهران قومية هزاره الشيعية من أجل التمدد وشراء الأراضي فقد شكل أفغانستان ساحة رخوة لإيران من أجل بسط النفوذ عبر عناوين مختلفة تتأرجح بين الثقافي والاقتصادي والاجتماعي وصولا إلى السياسي وتشير التقارير إلى أن من بين عدة أدوار تتطلع إليها الدول في أفغانستان، كان الدور الإيراني هو الأكثر إثارة جدلاً، إذ شكلت عوامل عرقية وثقافية ومذهبية ولغوية مشتركة أرضية لهذا الدور.

المؤسسات التعليمية والثقافية والإغاثية كانت الوجه الأبرز لنفوذ إيران في الساحة الأفغانية بنظر المراقبين، لكن ذلك لا يعني أن الحضور في أروقة السياسة كان خافياً، فكثير من النواب في البرلمان الأفغاني يدافعون عن سياسة الجارة الغربية إيران، بينما ينتقد آخرون ذلك الدور ويقول عضو البرلمان الإيراني نادر خان كتوازي في تصريح لموقع طلوع نيوز الأفغاني الذي يبث أخباره باللغة الفارسية، إن إيران تعمل

منذ ٣٥ عاما في افغانستان في السر والعلن، وهي سبب اختلافنا ويجب أن نقف ضدها ونفضح الجهات التي تعمل لصالحها.

وعلى مستوى الإغاثة، أنشأت إيران مؤسسة الخوميني للاغاثة وهي من أبرز معالم هذه القوة الناعمة الإيرانية، ويعمل فيها ٣٠ ألف موظف في افغانستان، وتشكل جزءاً من انفاق يبلغ ٥٠٠ مليون دولار، بحسب تقارير وعلى مستوى التعليم، فقد شيدت طهران مؤسسة خاتم النبيين التي تضم جامعة ومدرسة دينية ومركزا ثقافية وعلى المستوى الإعلامي تشير التقارير إلى أن إيران تهيمن على نحو ٣٥ مؤسسة إعلامية وصحفية،وكل ذلك يأتي وسط اتهامات لإيران بالعبث بالنسيج الديمغرافي في أفغانستان، عبر دعم قومية هزاره الأفغانيين الشيعة من أجل التمدد وشراء الأراضي.

والتمدد الإيراني الذي يشير إليه كثيرون على أنه وليد اخفاق القوى الإقليمية في الحضور، لم يخف أيضاً التحديات الراهنة بالنسبة إلى طهران وأبرزها المياه وتهريب المخدرات واللاجئون الافغان الذين يستنزفون اقتصادها، كما تقول .

<u>الحرب الناعمة في لبنان:</u> إذا أردنا التركيز في تتبع الحرب الناعمة في مواجهة الواقع الشيعي الناهض، سنلاحظ الحرب على المقاومة الإسلامية وحزب الله في لبنان من خلال دعم بعض الهيئات شبه

الصوفية التي تمّ تفكيكها فانقلبت المعركة إلى حرب على مصطلح ولاية الفقيه وإلى عمل إعلامي وسياسي دؤوب لتسخيف إنتصار ٢٠٠٦ بالمقارنة الظالمة بينه و بين الخسائر المادية والبشرية التي وقعت على الشعب اللبناني، وهو الأسلوب نفسه الذي اعتمد في تسخيف إنتصار غزّة وصمودها وهناك موارد كثيرة للحرب الناعمة على حزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين وغيرها .

وعن كيفية تطبيق حرب الأفكار في العالم الإسلامي، نلاحظ بعض المواقع الإلكترونية وتعاملها مع الطّرق الصُّوفية لامن جهة إتهام هذه المواقع ولكن من جهة فهم دلالات عناوينها على مضامين تصب في حرب الأفكار والتغيير الثقافي، ونلاحظ الاهتمام البريطاني بالترخيص للجنة الدفاع عن الدراويش في إيران، والترخيص للمجلس الصوفي العالمي المعتمد من وزارة الخارجية البريطانية، وكذلك عناية البيت الأبيض بالمجلس الإسلامي الأعلى الذي يرأسه الشيخ هشام قباني،صهر الشيخ ناظم الحقاني القبرصي والذي يهدف إلى رسم مستقبل المسلمين في أمريكا و العالم ونلاحظ هذا الاهتمام غير المبرر بإيجاد محطات فضائية صوفية تدافع وتهاجم بل وتكفر وأعداء الإسلام يعملون على تزكية النزاعات: سنة- شيعة، سنة- صوفية، شيعة- صوفية، صوفية- صوفية.

القوة الناعمة الإيرانية واستهداف الهوية الأحوازية

كثيرا ما يتم التداول في المجالس والاجتماعات عن الغزو الثقافي الفارسي للثقافة العربية في الأحواز واستهدافها بغية مسخ الهوية الأحوازية وطمسها إلى غير رجعة وبالرغم من كثرة هذه الأحاديث، لكنها بقيت حبيسة في البديهيات والمسلمات، واكتفت فقط بمقولة يجب مقاطعة الفرس ولم يتم تفكيك هذا الغزو الثقافي إلى عناصره الجوهرية بطريقة واعية والخوض في تفاصيله ومعالجته ولم يتم تشخيص العناصر التي يجب مقاطعتها ولم يتم تناول طرق المقاطعة.

تعتمد الدولة الفارسية في سياساتها بموازاة القوة الصلبة التي توظفها لقمع الشعب العربي الأحوازي واضطهاده، على القوة الناعمة التي تجعل المواطن الأحوازي يُعجب بالدولة الفارسية وبثقافتها وقيمها، ويميل إليها طواعية وينخرط في صفوفها ثم ينصهر ويندمج في مجتمعها وأهم عناصر القوة الناعمة التي تستخدمها الدولة الفارسية في غزوها الثقافي للمجتمع الأحوازي، اللغة الفارسية والعادات والتقاليد والرموز الفارسية، والمعتقدات الطائفية التي تتستر بلباس مذهبي وديني،وبعض القيم السياسية مثل حقوق المرأة والمشاركة في الانتخابات.

لا أحد يخالف انتشار قيم سياسية مثل حقوق المرأة والمشاركة في الانتخابات،ولا أحد يبغض الشعب الفارسي ويكره لغته أو عاداته وتقاليده لكن التسليم بهذا المبدأ له ظروفه الخاصة أي في حال كانت الأحواز تتمتع بسيادتها الوطنية وتعيش حالة طبيعية مثلها مثل سائر دول المنطقة والعالم أمّا في الحالة التي يعيشها الشعب العربي الأحوازي فالوضع يختلف تماماً ويجب التعامل مع هذه العناصر بالمنطق الصحيح وبدقة وحذر عندما يتم الترويج في الأحواز لحقوق المرأة فهذا الترويج ليس اهتماما بالمرأة الأحوازية أو اعتناء بالقيم الإنسانية، وإنما يُروج لها بغية غزو نصف المجتمع الأحوازي واعطاءه مظهراً ومضموناً فارسياً ـ من خلال الملابس وطريقة التفكير والسلوكيات واللغة ـالتي لا تمت للواقع الأحوازي والعربي بصلة فتصبح المرأة الأحوازية نسخة طبق الأصل من المرأة الفارسية أمّا المشاركة في الانتخابات والحياة السياسية التي يروج لها الفرس بين أوساط شعب الأحواز فهذا الترويج لا يتكئ على مبدأ الايمان باللعبة الديمقراطية وفتح المجال لكل مكونات الدولة للمشاركة في انتخاب من يمثلها ومن يتخذ قرارات نيابة عنها وإنما يُروج لهذه القيمة السياسية من أجل تلميع صورة الدولة الفارسية خارجياً واعطاءها مظهر ديمقراطي وتقوية موقفها في سياستها الخارجية، وللتمويه والتغطية على الجرائم ومشاريع التدمير الكبرى التي تحدث في الأحواز وأهمها تغيير الديموغرافية الأحوازية واعطاءها

طابعاً فارسياً، وبناء المستوطنات وتوطين غير العرب في الأحواز، وتهجير العرب خارج بلدهم، وسلب الأراضي من العرب ومنحها للفرس شعباً ومؤسسات.

قد يعتبر من الضروريات والحاجات الملحة تعلم المواطن الأحوازي لغات إلى جانب اللغة العربية، فهذه اللغات تسهّل عليه الارتباط والتواصل مع الآخر وتيسر عليه نقل المعلومة أو تلقيها فى أسرع وقت ممكن وبدون أي تغيير في مضمونها لكن ما يحدث في الأحواز يخرج عن هذا الإطار المتعارف عليه والمألوف وما هذا الترويج للغة الفارسية وبكثافة وحماسة مفرطة بين الشعب الأحوازي إلا من أجل استهداف اللغة العربية وتهميشها ونشر اللغة الفارسية بديلاً عنها وبالتالي يعني طمس هوية الأحواز والقضاء عليها فهذا الاهتمام المتزايد في تعليم اللغة الفارسية ونشرها لم يأت حباً فى شعب الأحواز حتى يتعلم لغات عديدة مثل الدول الأخرى في العالم التي تُعلم شعوبها لغات عديدة، إنما يأتي هذا الاهتمام المتزايد باللغة الفارسية والسعي الحثيث لنشرها من أجل العناية بالثقافة واللغة الفارسيتين ومن أجل القضاء على عروبة الأحواز وطمس هويتها ومن يظن غير ذلك ويعتقد بوجوب تعلم اللغة الفارسية باعتبارها اللغة الرسمية والمشتركة عليه أن يسأل نفسه لماذا وكيف أصبحت هذه اللغة رسمية ومشتركة دون غيرها من اللغات في الكيان الفارسي رغم تلك اللغات التي تتفوق عليها في ثراءها وجمالها

فهذه اللغة فُرضت بالعنف والاكراه على الشعوب ولم تأت بقوة غناها وسعتها، ولا يمكن أن تستمر وتحافظ على وجودها وتطورها إلا من خلال تهميش لغات المكونات الأخرى في جغرافية إيران السياسية ومنع أبناءها من التعلم بلغاتهم.

من حق الشعب الفارسي كالشعوب الأخرى أن تكون له عادات وتقاليد يعتز بها تميزه عن الشعوب الأخرى، لكن ليس من حقه أن يروج لعاداته وتقاليده في مجتمع الأحواز ويفرضها على الشعب الأحوازي مستغلاً أدوات القوة الناعمة، ومنتهزاً للظروف المأساوية التي يمر بها ويستغل الشعب الفارسي أدوات القوة الناعمة التي تملكها الدولة وينشر ثقافته وقيمه بين الأحوازيين وهذه الأدوات يمكن تحديدها بوسائل الاعلام المطبوعة والمرئية والمسموعة ،والمدارس والجامعات، والحوزات والمراكز الدينية والمستوطنين والقوة الاقتصادية كل هذه الأدوات مجتمعة تؤدي دور وظيفي لنشر عناصر القوة الناعمة داخل مجتمع الأحواز وتكريسها على حساب ثقافة الشعب العربي وتهميشها من خلال نظرة شاملة وفاحصة لمجتمع الأحواز ويمكن مشاهدة حجم الدمار والتشويه الذي لحق به وبثقافته في الفترات التي تلت الاحتلال وبالأخص العقود الأخيرة منه بعيداً عن الشمولية ولغة التعميم، أصبحت اللغة الفارسية تستخدم على نطاق واسع في مدن الأحواز بين أبناء الشعب العربي الأحوازي وليس فقط بينهم وبين الفرس، واللغة العربية باتت

هجينة تجمع بين المفردات الفارسية والعربية وتصنع منها جمل لا يفهما إلا الشعب الأحوازي في بعض الأحيان أمّا مظهر المواطن الأحوازي في المدينة لا يختلف كثيراً عن مظهر المواطن الفارسي إذ استعاضت الكثير من الشابات الأحوازيات، عن الملابس العربية بالملابس الفارسية وبتن يتشبهن بالفتيات الفارسيات أكثر من تمسكهن بمظهرهن وأصالتهن العربية، وبتن يفضلن في كثير من الأحيان اللغة الفارسية على العربية وحال الشاب الأحوازي في المدينة لم يكن أفضل منهن إلى جانب هذا التغيير، الكثير من المضايف والمجالس العربية تبدلت إلى حسينيات أو تم هجرها،والقبيلة فقدت أدوارها الاقتصادية والأمنية والثقافية التي كانت تلعبها في مجتمع الأحواز وأخذت الدولة الفارسية مكانها في تأدية هذه الأدوار أمّا المناسبات والأعياد، العربية منها والإسلامية هُمشت ومُنعت لصالح الأعياد والمناسبات الفارسية مثل عيد النيروز الذي تُعطل فيه مؤسسات الدولة ويتم الاحتفاء به أكثر من خمسة عشر يوماً، وعيد الفطر وعيد الأضحى لا تتجاوز عطلتهما ثلاثة أيام!

هذه مأساة حقيقية يعيشها يومياً شعب الأحواز قد تصل به إلى طمس الهوية والاندثار إن لم يتم التنبه لها ومواجهتها بقوة عربية ناعمة تصد القوة الفارسية الناعمة وتحافظ على الثقافة والهوية العربية في الأحواز وقد يكون من الصعب وبعيداً عن واقع الأحواز الحديث عن المقاطعة في جميع المجالات، لكن من الضروري التنبه إلى عناصر القوة الناعمة

وأدواتها وتجنبها قدر المستطاع ومقاطعتها، والتعامل معها بحذر شديد واحتراس في أوقات الضرورة وفي نفس الوقت من المفترض تنمية عناصر الثقافة العربية في الأحواز وتطويرها لتواكب التطور والتقدم في العالم والمنطقة.

إيران في أفريقيا

فاجأ الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد العالم كله، وأرسل رسالة مطوّلة، للرئيس الأميركي جورج بوش، أصرّ فيها أن يبدو بثياب المدافع عن العالم والمستضعفين، وقدّم نفسه على أنه معلم يتلقى أسئلة أخلاقيّة من طلابه، وفي فقرة لافتة قال نجاد لبوش:ألا يحق لسكان أمريكا اللاتينية أن يتساءلوا لماذا تتم معارضة حكوماتهم المنتخبة، ويتم دعم الحكومات التي تتسلم الحكم عبر انقلابات عسكرية؟.

شعوب أفريقيا المثابرة تستطيع أن تلعب دوراً مهما في تلبية حاجات الشعوب الأخرى والفقر المدقع حال دون تحقيق هذا الهدف السامي، ألا يحق لهذه الشعوب أن تتساءل لماذا يتم نهب مواردها الطبيعية الهائلة التي هي في أمس الحاجة إليها؟.

لم يكن حديثه عن أفريقيا اعتباطياً، بل يعكس إدراكه لخارطة التحالفات المفترضة، ورغبته في التمدد والتحدث باسمها.

هناك مسلّمة مكررة تقول إنّ القارة السّمراء التي يُنتظر منها أن تكون سلة لغذاء العالم، ومورد محتمل للمواد الخام، لا تجد قوت يومها، ولا تحضر في المحافل الدولية إلّا من باب مناقشة الحدْ من تأثير حروبها الأهلية وإغاثة جائعيها ومساعدة دولها لتجاوز الخلافات الوهميّة التي تعرقل مسيرة العالم، وتخفيف حدة العنف السّياسي، ويُدبر عنها العالم ولا يحتسبها في عداد أروقة الملفات الرئيسة إلا لماماً، دون انتباه لما يمكن أن يتسبب به هذا الجفاء فتهيّأت أفريقيا لتكون أرضاً خصبة لكل صاحب فكرة متمردة، أو مذهب جديد، أو حتى ديانة وليدة، فالبؤس والفقر يجعل كل قادم أفضل بكل تأكيد من مرارة الحاضر بالنّسبة لأفريقيا.

لكن هذه القارة لم تكن بهذه المأساوية، لدى النظام الإيراني، الذي رأى فيها أرضاً خصبة لنشر النفوذ والايديولوجيا، في ظل انشغال العالم عنها، وانشغال القانون الدولي عنها أيضاً، فصارت أرضاً للعبور، ومكاناً صالحاً لتحقيق أحلام تصدير الثورة، ونُصرة المستضعفين، وحائطاً لتعزيز أمن إيران الإقليمي، وتربية مصالح إقليمية، فحضّرت فيها ملعباً احتياطياً لصراعاتها، مع الغرب وإسرائيل، ومنافسيها من دول الخليج.

منذ أن بدأت إيران عهدها الجديد في بداية الثمانينات بعد ثورة الخوميني، أرادت أن تكون ضمن القوى الفاعلة في الخارطة السياسية

العالمية،دون أن تتخلى عن ثورتها التي بدأت أول ما بدأت ثورة انتصار للعرق الآري، وتربّت على كره التسمم بالغرب كما شاع حينها، إلى أن جاء الخوميني وأخذ قطافها وألبسها عباءة دينية ، وحاول بعد نجاح تحوير ثورته، تحويل الحالة الإيرانية إلى امتداد لثورات المظلومين، وانتفاضة أيديولوجية عالميّة، فمدت إيران عنقها لتطل على كل المناطق الميتة، أو المحايدة، لتتجمّع بها وتتقوى، فمن أين تبدأ، غير الأرض الخصبة المهملة!

في حوض النيل ودول البحيرات والقرن الأفريقي استغلت إيران الفشل الأمريكي، فأثبتت أمشاجها على نغمة نصرة الاستضعاف، والاهتمام بالحلفاء الجدد الذين يعاقبهم العالم سواء في السودان أو اريتريا أو موزمبيق، فانبجست بسياسات اقتصادية جاذبة، وحققت الكثير من الفتوحات، واضطرت الدول الأفريقية أحياناً إلى التنازل في ملفات استراتيجية، حتى أصبح الحديث عن قواعد عسكرية لإيران على البحر الأحمر، حديثًا، يروج بلا خجل، ولا يجد من النفي إلا النفي المذيل بعبارة وماذا لو كان لها قواعد، أليس من حقها ومن حقنا، أما إيران فإنها تتاجر بمشاعر العداء لأمريكا الذي يميّز المنطقة فى عمومها، كما تحاول تطبيق نظرية اقتصادية جديدة، ولا ينافسها أحد.

ارتبط الانفتاح الإيراني على أفريقيا بعهد الرئيس رفسنجاني، الذي حطت طائرته عام ١٩٩١ في السّودان، الذي كان يعيش عامه الثاني في ظل نظام إسلامي عسكري أيديولوجي معزول ومحاصر من قبل المجتمع الدولى، شكّلت زيارة رفسنجاني حدثاً محورياً للسودان الإسلامي الجديد، وقد كانت الزيارة حصاداً لأعوام من التواصل مع الإسلاميين السودانيين حتى قبل استيلائهم على الحكم،وتتويجاً لدعم الإيرانيين للحكومة الجديدة في السودان مثّلت الزيارة نقطة انطلاق لتوسيع دائرة الاهتمام بالقارة السمراء.

وجد رفسنجاني حفاوة شعبية كبيرة، من شعبٍ يحب الضيوف، ولم يعش حساسية طائفية بين السّنة والشيعة أبداً لأنه سني بالكامل، وفي خلفيته السطحية ولدى الحاكمين الجدد، لم تكن إيران أكثر من دولة إسلامية، وليس لها تصنيف أبعد من ذلك، على عكس ما تجده إيران في الدول التي تشهد انقسامات طائفية، فإن التخوفات تكون كثيرة، لوجود نظرية ولاية الفقيه السّياسيّة الدّينية، التي تهدد الأمن القومي بتعدد ولاء معتنقيها منذ تلك الزيارة وإيران تستغل براءة العقل الأفريقي المسلم السّني، فهو خصب يتلقي الأفكار الجديدة، دون ممانعة.

سارعت إيران بتنشيط أذرعها المباشرة والخفية، مستغلة انتشار الكثير من الموالين لإيران في غرب أفريقيا عبر بعض المنتمين لحزب

الله اللبناني فتكررت زيارة رفسنجاني للسودان عام ١٩٩٦، لكنها تمددت حينها إلى جنوب أفريقيا وكانت صلاتها مع الشيعة فيها قديمة بدليل وجود حركات شيعية وكينيا وأوغندا وتنزانيا، وزيمبابوي، وكانت تتحرك يومها وفقًا لفلسفة سياسة البناء التي بدأها رفسنجاني، وبعده عزز محمد خاتمي في زيارته لأفريقيا، كجنوب أفريقيا والسنغال ونيجيريا والنيجر، أسلوب التواصل الحضاري،وكان يطمح بجانب التعزيز الاقتصادي والحوار الحضاري، إلى تأمين دعم دولي لبرنامج التسلح النووي الإيراني، باستغلال وزن التصويت لدول أفريقيا في عهد نجاد عادت النزعات الثورية إلى المنطق الإيراني، فبعد إنشاء منظمة تطوير التجارة مع دول أفريقيا، وتعدد زياراته للقارة في ٢٠١٠ و٢٠٠٩، لزيمبابوي وكينيا ونيجيريا والنيجر، وموريتانيا، جامعاً الأيديولوجيا والاقتصاد معاً، وعمل على تنويع أدوات حضوره معتمداً بالإضافة إلى القوة الناعمة على وسائل جديدة، كما استطاعت توظيف شبكة من التفاعلات غير الرسمية لخدمة مصالحها، حيث أصبح العديد من مواطنيها ومن حلفائها، خاصة حزب الله اللبناني، يعملون في مختلف أنحاء القارة [1].

١- السياسة الخارجية الإيرانية في أفريقيا، شريف شعبان ميروك.

دعم الحوثيين عبر اريتريا.. وقواعد في البحر الأحمر

الحديث عن العلاقات الإيرانية الإريترية تصاعد بعد التقارير التي تحدثت عن وصول سفينة محملة بالأسلحة الإيرانية إلى المتمردين الحوثيين في شمال اليمن عبر إريتريا، ورددت وسائل إعلام إسرائيلية كلام عن وجود قاعدة عسكرية إيرانية بحرية بالقرب من ميناء عصب الإريتري [1] وجدير بالذِكر أنّ إيران تعتبر وجود إسرائيل في أيّة مكان مبرراً لمد نفوذها إليه وكان تقرير صادر عن ستراتفور نصّ على أنّ إيران تنقل أسلحة عبر طريق يبدأ من ميناء عصب الإريتري، ويمر شرقاً حول الطرف الجنوبي من بحر العرب في خليج عدن إلى مدينة شقراء على ساحل جنوب اليمن، ومن هناك تتحرك الأسلحة براً إلى شمال مدينة مأرب شرق اليمن، وبعدها إلى محافظة صعدة على الحدود السعودية ـ اليمنية وفي أكتوبر ٢٠٠٩، قال تقرير آخر إيران تنقل مؤناً للحوثيين، وصدر تقرير في ٢٩ أكتوبر ٢٠١٢، بعنوان شرق أفريقيا ميدان للصراع بين إيران وإسرائيل حول عواقب الصراع الاسرائيلى

١-نقولا ناصر، المركز الإرتري للإعلام ٢٠٠٩

الإيراني في اريتريا،وتحدّث عن اختيار إريتريا توثيق صلاتها بإيران، لأن إسرائيل مرتبطة بشكل أوثق بأثيوبيا والحلف الأمريكي، الذي لا يريد النظام الاريتري الحالي.

الإريتريون وعبر مراكز مراكز البحوث أيضاً قالوا إنّ العلاقات مع إيران عادية، على الرغم من القروض التي طلبها الرئيس الأريتري حيث كانت اريتريا حصلت على قرض ٢٥ مليون يورو من إيران في ٢٠٠٨،فإنّها لا تتفوق على العلاقات الإيرانية الأثيوبية والسّودانية، بل تقل عنهما بكثير، ويرفض الإريتريون ما قالته التقارير الأمريكية، عن وجود دائم لإيران في ميناء عصب، مقابل تأهيل مصفاة النفط الإريترية.

يقول المصري حسام سويلم: المحللون في أجهزة الاستخبارات الغربية، توصلوا إلى خلاصة مفادها أن الوجود العسكري الإيراني الكثيف في أريتريا، يشير إلى مخطط إيراني لا يستهدف فقط اختراق اريتريا والقرن الأفريقي، بل أيضاً نقل الحرب من مضيق هرمز والخليج العربي إلى خليج عدن وباب المندب، وهو الممر الاستراتيجي المهم والحيوي لناقلات النفط إلى الدول المستوردة للطاقة في أوروبا والولايات المتحدة، وبذلك وسعّت إيران تهديداتها إلى خارج منطقة الخليج ويرتبط ذلك بما أعلنه قائد الحرس الثوري عن إقامة قواعد بحرية إضافية في بحر عمان، وهي تدخل أيضاً في إطار استمرار

استعدادات إيران لمواجهة عسكرية متوقعة، في ضوء تطورات صراعها مع المجتمع الدولى بسبب الملف النووي الإيراني، كما أن التسلل الإيراني إلى القرن الأفريقي، يعني في ذات الوقت أن طهران تهدف إلى توسيع دائرة الحرب، والتسلل مجدداً إلى هذه المنطقة التى تشهد حشوداً عسكرية مثيرة للشبهات تحت ذريعة محاربة القرصنة، واحتمالات متوقعة لحدوث انفجار جديد وكبير للأوضاع في الصومال ينعكس على سائر دول القرن الأفريقي[1].

الإستراتيجية الإيرانية فى شرق أفريقيا

مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب الأمريكي، خلص في تقرير أصدره في ٢٠١٠ إلى أن استراتيجية إيران في شرق أفريقيا والدول القريبة من البحر الأحمر تهدف إلى ترسيخ نفوذها السياسي كجزء من المحور المعادي للغرب، الذي تسعى إلى إنشائه في دول العالم الثالث، وتعويض مصالحها الاقتصادية التي تفقدها في أوروبا وأمريكا وآسيا، وتنشيط المراكز الثقافية التي تنشر الفكر الشيعي، وتعزيز نفوذها، تأسيس وجود إيراني مادي على الأرض وفي البحر، قريبة من

١- حسام سويلم، الأهرام الإستراتيجي - يناير ٢٠١٠.

ميادين التنافس ذات طابع المواجهة لإيران في الشرق الأوسط، والتي قد تستخدم لتهريب الأسلحة وعمليات الإرهاب.

كثيرون بدأوا في التنبه إلى الخطر الإيديولوجي للوجود الإيراني في أفريقيا، فالنيجيريون يرفضون تدخل إيران ودعمها للإسلاميين والتشيع في الميدان السياسي النيجيري، وفي السودان بدأت حملات كبرى للتحذير من التشيع السياسي، ودعوات واضحة من الأحزاب السّياسية التقليدية، وأحزاب جديدة دخلت في حكومة البشير تدعو لفك الارتباط بالمحور الإيراني، والسّعي لتأمين العمق العربي، خاصة بعد أن انتقلت المعركة بين إيران وإسرائيل إلى العاصمة السودانية، إذ قامت الأخيرة بقصف مصنع للأسلحة الإيرانية في السودان، وضرب قافلات تهريب الأسلحة المارة عبر السودان وسيناء إلى غزة.

يقول الباحثون إن طموح إيران، مفهوم، وتمددها له أهدافه، لكن الغريب، هو ضمور العرب، وإهمال ملف أفريقيا، بعد رحيل القذافي، وتشتت مصر المنكفئة على جراحها وهي توشك على العطش بفعل السدود التي تقام على مجرى النيل، فهل تنجح إيران في الاستيلاء على البحر الأحمر، وتطوّق بذلك النفط العربي؟ وتواصل مدّ سلطانها في غرب أفريقيا، لتستحدث قنوات إنقاذ مالية، مستغلة ضعف مكافحة غسيل

الأموال في تلك المواطن؟ أم يتنبه العرب، ويدخلون في المعادلة، الإيرانية الإسرائيلية الأمريكية؟

كما أن ولاية الفقيه، كانت نظرية دينية سخّرت لبسط سلطة على الدنيا والسياسة، فإن نصرة المستضعفين كانت نظرية أخلاقية سخّرت لبسط النفوذ، فبدلاً من التسمم بالغرب يقترح الثوريون التسمم بالفرس، كل هذا يضخ الايديولوجية الدينية باسم ولاية الفقيه لتمنح إيران نفوذاً سياسياً، لكن بعد عقود من الثورة، يبدو مستقبل هذه النظرية في أفول، على الأقل على المستوى الديني، يقول محسن كديور أعتقد أننا نقترب من نهاية مرحلة ولاية الفقيه في إيران، وإن كان هناك أي مستقبل لولي فقيه، فسيكون من طهران وليس من قم، لأن إدارة المجتمع تحتاج إلى المعرفة السياسية أكثر من المعرفة الفقهية [1].

الضخّ الديني الذي كان يمنح إيران هالة ثورية، في ضمور، خاصة بعد الحرب السورية، وبعد القمع الداخلي، فهل سيتحرّك العرب الآن وفقًا لسياسة المصالح للدخول في الميدان؟.

١-الشرق الأوسط، ١٦ مارس ٢٠٠٧ .

القوة الناعمة في نيجيريا

ضمن سياسة التمدد الشيعي الذي تقوم به السلطات الإيرانية خصوصاً فيلق القدس التابع للحرس الثوري الذي يمسك بالملفات الخارجية، تمكنت إيران من الحصول على موطئ قدم لها في نيجيريا عبر الشيخ ابراهيم زكزاكي الذي وصفه الإعلام الإيراني بزعيم شيعة نيجيريا وذكر الموقع الالكتروني الإيراني قدس أونلاين المقرب من السلطة أن عدداً من المسؤولين ورجال الدين بينهم ضباط عسكريين في الحرس الثوري حضروا حفل تكريم زكزاكي بالتزامن مع احتفالات ذكرى الثورة الإيرانية.

واعتبر الشيخ ابراهيم زكزاكي في كلمة له، انتصار الثورة الإيرانية وأفكار قائدها الخوميني أنها وصلت إلى أقصى نقاط العالم ومنها نيجيريا،معلناً أن الملايين من الناس يستلهمون اليوم أفكار الخوميني والمرشد الأعلى علي خامنئي ضد قوى الاستكبار العالمي.

وابراهيم يعقوب زكزاكي، يرأس المنظمة الإسلامية في نيجيريا التابعة للأقلية الشيعية في مدينة زاريا بولاية كادونا ولم يك للتشيع وجود في نيجيريا حتى عام ١٩٨٠، حيث بدأ إبراهيم زكزاكي باعتناق المذهب الشيعي وبدأ في نشره داخل البلاد من خلال قراءته للترجمات الإنجليزية لكتب الشيعة التي كانت توزعها سفارة إيراني مجاناً، وبعد انتصار

الثورة في إيران قامت السلطة الإيرانية بتأسيس مؤسسة دينية تابعة لجامعة المصطفى العالمية التابعة لمكتب خامنئي.

وهذه المؤسسة تعرف نفسها على موقعها الالكتروني بأنها مؤسسة تعليمية بحثية ذات رؤية دينية تمارس نشاطها على مدى عقدين من الزمان، وتخرّج منها حوالي ١٨ ألف طالب وطالبة من مختلف بلدان العالم، كما تمكّنت هذه المؤسسة من تأسيس عشرات الفروع في أرجاء المعمورة واستحداث أكثر من ١٥٠ فرعاً دراسياً لمراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، ويقود هذه المسيرة كادر علمي متخصّص مؤلف من ٢٠٠٠ أستاذ وعضو في الهيئة العلمية في الداخل والخارج.

ومن أهم سياسات المؤسسة نشر التشيع في العالم خاصة البلدان ذات الأغلبية السنية وقامت باستقطاب كثيرين من مواطني دول آسيوية وأفريقية وتستضيف العشرات من معتنقي التشيع وعائلاتهم وتهيئ لهم سكن ومعاش شهري وبعد إكمال كل منهم مرحلة دراسية معينة ترسلهم إلى بلدانهم لنشر التشيع بشكل متقطع أو دائم.

تنامي نفوذ الشيعة في نيجيريا واتساع نطاق الحركة الشيعية لدرجة بات يوصف نفوذهم بأنه دولة داخل الدولة بما يشكل تهديدًا حقيقيًا على البلاد، بحسب محللين وتعد مدينة كادونا معقلَ الحركة الشيعية الرئيسية في نيجيريا،وتُصدر الحركة الشيعية هناك صحيفة يومية واسعة الانتشار

منذ عقدين، كما ستطلق قريباً محطة إذاعية عبر موقعها على شبكة الإنترنت،عبر الموجات الرئيسية للدولة، وستطلق كذلك قناة تلفزيونية كما أن هناك العديد من الأفلام الوثائقية التي تمدح الشيعة وقادتها وتباع بكثرة للسكان المحليين في المدينة في صورة اسطوانات دي في دي، بعد ترجمتها إلى لغة الهاوسا المحلية.

كتب مارك لوبيل في تقرير نشرته بي بي سي يقول: في السنوات الأخيرة، زاد حجم عضوية الحركة واتسع نطاقها بعد أن كانت حركة صغيرة ومحدودة، في الوقت الذي تحول الاهتمام فيه إلى حركة بوكو حرام، وهي حركة إسلامية سنية تحارب من أجل إقامة دولة إسلامية في نيجيريا ويخشى البعض من نمو الحركة دون وجود رقابة من السلطات الحاكمة الحالية التي تتهمها الحركة بأنها غير جديرة بالحكم.

ويقول مارك لوبيل الذي زار معقل الحركة الشيعية في كادونا: إنه خلال اللقاء مع الشيخ زكزاكي، كان الغموض يلف بعض إجاباته، وربما كان من الواضح عدم ثقته في الإعلام، مما دعاه إلى أن يسجل هو لنفسه نسخة من الحوار خشية تحريف كلامه كما أن زكزاكي ترك العديد من الإجابات دون تفسير مما أعطى انطباعاً أن لديه ما يخفيه.

وقد خاض أنصار زكزاكي العديد من الصدامات العنيفة مع الدولة عبر عقود من الزمن، وهناك حالياً نحو ١٢٠ معتقلاً من أتباعه في سجون

الدولة ونقل تقرير عن المحلل السياسي النيجيري محمد كبير عيسى قوله إن هذه الحركة الشيعية تشكل تهديداً حقيقياً للبلاد حيث تقوم بإجراء تدريبات عسكرية لأعضائها، كما يؤكد: عند الشروع في القيام بتدريبات عسكرية، فهناك بالتأكيد نوع من الترقب لشيء ما، وهناك أيضا توقعات معينة.

وهناك تقارير صحفية عن قيام زكزاكي بتكوين ميليشيا عسكرية يقوم أعضاؤها طوال الوقت بالتدريب على القتال، وهو ما كشفه المحلل السياسي النيجيري محمد كبير عيسى لأحد المواقع الإخبارية، مما يكشف عن تدبير الشيعة لعمل ما في المستقبل كما حذر من إمكانية نشر التشيع في دول أفريقية أخرى انطلاقاً من نيجيريا التي يأتي إليها الكثير من التجار، في ظل اشتغال الشيعة بالتجارة وتأسيسهم منتدى التجارة لتعزيز نفوذهم الاقتصادي لتسهيل عملية نشر فكرهم بين التجار الوافدين.

انطلق زكزاكي في المجاهرة بطموحاته السياسية من خلال المنظمة الإسلامية في نيجيريا التي تضم عشرات آلاف الأعضاء، التي تسميها المصادر الإيرانية حزب الله في نيجيريا،وتعتبرها قراءات نيجيرية ميليشيا إسلامية مسلحة وليس مستبعداً أن تعلن المنظمة الإسلامية في نيجيريا الحرب على بوكو حرام، من منطلق مذهبي لا على أساس

التصدي للتشدد، وليس مستغرباً أن يسوّق حزب الله النيجيري ممارساته وتطاوله على الدولة بأنها من صور المقاومة لبوكو حرام.

ومن الخطأ تحميل الشخصية الأفريقية وحدها المسئولية عن انتشار التشيع في بلدان القارة، حيث يفسح الفقر والجهل اللذان تعاني منهما أفريقيا المجال أمام النشاط الشيعي القائم على منظومة متكاملة من العمل (الخيري) الطبي، والتعليمي وبالنسبة لنيجيريا أكبر دول القارة سكاناً وعدداً للمسلمين، فقد لعب نشاط حركة بوكو حرام السنية المتشددة دوراً كبيراً في انتشار التشيع، سواء من خلال صرف نظر الدولة عن أنشطة الشيعة في ظل انشغال السلطات بقتال السنة ومداهمة معاقلها، وهو ما أعطى حركة التشيع مساحة أكبر من الحرية لإدارة أنشطتها، أو عبر استغلال قيادات الشيعة التفجيرات التي تنفذها الجماعة والحرب الأهلية بين المسلمين والمسيحيين في تنفير المسلمين من السنة، وهو ما أكده إبراهيم الزاكزاكي أحد أبرز رموز الشيعة في نيجيريا في حوار مع صحيفة الدار الكويتية، حيث قال إن إحدى الحركات خدمت الشيعة وساهمت في انتشار التشيع في نيجيريا أكثر من خدمة علماء الشيعة في إشارة إلى بوكو حرام.

وثمة ظروف ساعدت على ذلك، من بينها انتشار الجهل الشديد بتعاليم الدين الإسلامي، بين الأميين أو حاملي الشهادت العليا على حد سواء

مما جعل من السهل التأثير على المسلمين، إضافة إلى انتشار الصوفية خاصة فرقتي التيجانية والقادرية، حيث وجدت إيران وحلفاؤها في الصوفية في نيجيريا تربة خصبة لنشر فكرها، نظراً لما هو معروف من قواسم مشتركة بينهما من التبرك بالأولياء والصالحين وتعظيمهم وزيارة الأضرحة والاحتفال بموالد أوليائهم، واعتماد الأوراد التى لم ترد في القرآن والسنة الصحيحة وفي الحقيقة عند بدء نشر التشيع في الثمانينات لم يكن هناك حائط صد فكري لمواجهة الشيعة، في ظل غياب أية مؤسسات عربية تعمل في مجال الدعوة أو الإغاثة باستثناء أعداد قليلة جداً من الدعاة غير المؤهلين بشكل كافٍ للقيام بدورهم أرسلهم الأزهر لنيجيريا وغيرها من البلدان الأفريقية كما منح تركز الغالبية العظمى من المسلمين في الولايات الشمالية البالغ عددها ١٩ ولاية، قادة الشيعة ميزة خاصة ساهمت بشكل كبير فى سهولة تحركهم لنشر فكهم.

وقد شهدت العلاقة بين الحكومة المسيحية والشيعة منعطفات كثيرة بدأت بتوترات في الماضي، ثم ما لبثت السلطات أن سمحت لهم بتأسيس مدارس، وفتحت المجال أمامهم لممارسة نشاطهم الدعوي بشكل كبير، ففتح الشيعة أبواب مدارسهم على مصراعيها مجاناً أمام أطفال المسلمين، ولم تتردد الأسر الفقيرة في إرسال أبنائها للتعلم الذي يغرس في عقول الصغار الفكر الشيعي، ويتم تعليمهم في عدد من المدارس اللغة الفارسية، وقد قام الملحق الثقافي الإيراني في مايو عام ٢٠٠٩

بعقد مؤتمر في جامعة لاجوس بعنوان ما هي التحديات في تعلم اللغة الفارسية وثقافتها في المجتمع النيجيري، كذلك يتم اختيار بعض الطلاب المتفوقين لإرسالهم إلى إيران لتلقي علوم التشيع هناك والعودة لنشره في البلاد، والعمل كمعلمين في هذه المدارس.

وتقوم السفارة الإيرانية في العاصمة أبوجا بطباعة كتب الشيعة باللغة المحلية الهوسا، فيما تنتشر المواقع على الإنترنت للترويج للتشيع وهناك أيضاً جريدة الميزان اليومية التي تصدر بلغة الهوسا منذ نحو عقدين، التي تعتبر القوة الإعلامية الضاربة للشيعة حيث تنشر فيها مقالات علماء الشيعة وعلى رأسهم زكزاكي،وتتبع أنشطتهم داخل وخارج البلاد وتهتم بنشر الأخبار التي تخص إيران، إضافة إلى جريدة المجاهد الصادرة بالإنجليزية، ونجحوا أيضاً في ظل شهر العسل بينهم وبين الحكومة في شراء ساعات بث في الإذاعة والتليفزيون ليبثوا من خلالها برامجهم التي تحمل أفكارهم.

كما يلعب ما يسمى الاتحاد الإسلامي للطلبة الأفارقة في إيران دوراً كبيراً في استقطاب الشباب الأفريقي بشكل عام، والنيجيري على وجه الخصوص، وتسفيرهم إلى إيران، تقول صفحة الاتحاد على الفيسبوك ليبلغ الشاهد منكم الغائب حول هذه الغرفة، وهي تتعلق بكل الأفارقة المتخرجين والمشغولين بالدراسة في الجمهورية الإسلامية في إيران.

كذلك تدعم طهران الكثير من المؤسسات لنشر الفكر الشيعي في نيجيريا ومن أهمها مؤسسة حيدر- نيجيريا التي تقول عن نفسها على موقع التواصل الاجتماعي: مؤسسة حيدر – نيجيريا: من المؤسسات المهمة في تاريخ الاستبصار في نيجيريا، ولها دور كبير جداً في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في نيجيريا.

إيران فى اليمن

استطاعت إيران من خلال الزيدية بسط نفوذها في اليمن وقد نستفيض فى هذا الموضوع لأنه موضوع الساعة وأحداثه تثير شغف الكثيرين ليعرفوا حقيقة ما يحدث، ولقد بسطت إيران نفوذها فى اليمن باستخدام القوة الناعمة التي تمثلت فى -:

نشر التشيع: حيث أكد نائب رئيس الوزراء لشؤون الدفاع والأمن السابق في كلمة ألقاها أمام مجلس النواب في يونيو ٢٠٠٨ وجود نشاط شيعي في اليمن منذ الثمانينيات[١] وحاولت إيران نشر التشيع في اليمن بوسائل عدة منها، استقطاب طلاب يمنيين للدراسة في الجامعات والحوزات[٢] في إيران ودمشق وبيروت منذ فترة الثمانينيات

١- الحوثية في اليمن -الأطماع المذهبية - مجموعة باحثين،ص ٩٩ ٢- التمدد الإيراني في اليمن - نبيل البكيري - صحيفة الشرق الأوسط،٩يوليو٢٠١٣

والتسعينيات وعن طريق استخدام شخصيات شيعية عراقية مقيمة في اليمن إلا أنه يمكن القول ان التحرك الإيراني لنشر التشيع في اليمن نشط كثيراً في التسعينيات بحكم الانفتاح الذي ترافق مع قيام الوحدة اليمنية في مايو ١٩٩٠، والسماح بالتعدد السياسي وتشكيل الأحزاب، وعدم وجود رقابة على دخول مراجع وكتب ومنشورات الفكر الاثنى عشري، يقول الطالب اليمني المقيم في إيران حسن علي العماد الذي تحول إلى الفكرالجعفري الاثنى عشري: إن الحرية العقائدية والفكرية التي عاشتها اليمن في التسعينيات لم يسبق لها مثيل في اليمن وهي المرحلة الحقيقية التي نستطيع أن نقول إن وجود الاثنى عشرية بدأ منها[١].

الخطاب المعادي لأمريكا وإسرائيل: سار حسين الحوثي مؤسس الحركة الحوثية أو ما بات يعرف اليوم بأنصار الله، على نهج الخوميني في معاداته لأمريكا وإسرائيل، واستخدم خطاباً معادياً لأمريكا وإسرائيل في محاضراته؛ الأمر الذي جعل الشباب يلتفون حوله وأوهم مريديه وأتباعه بأنه مستهدف من أمريكا وإسرائيل[٢] وذات يوم[٣] وبعد انتهائه من

١- الحوثية في اليمن مرجع سابق،ص١٠٠ ٢- الزهر والحجر التمرد الشيعي -عادل الأحمدي ، ص ١٣٨

الحوثيون- أحمد محمد الدغشي ،ص١١٠-١٠٩

إعطاء محاضرة بعنوان الصرخة ؛ طلب حسين الحوثي من الحضور أن ينادوا بصرخة هي: الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة علىاليهود النصر للإسلام كأقل شي ممكن عمله لمقاومة الاستكبار الأمريكي، ووضح أن هذه الصرخة كفيلة أن ترعب أمريكا وإسرائيل.

وبذلك قام باستنساخ الشعار الإيراني على هيئة ما أسماه بالصرخة التي أخذت تنتشر كلما زاد نفوذهم وتمددهم وبعد مقتل حسين الحوثي استمر عبد الملك الحوثي زعيم الحوثيين على نفس النهج الإيراني، حتى إنه عرف الحركة الحوثية بأنها مجاميع شعبية تتحرك سلمياً لمعارضة الهجمة الأمريكية الإسرائيلية على العالم الإسلامي عبر شعارها الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام.

حشد الحوثيون الكثير من الشباب تحت راية هذا الشعار، بحجة قتال أمريكا وإسرائيل وأن النظام اليمني عميل وصديق لأمريكا، مستفيدين من كون التعبئة ضد إسرائيل أكثر مايحظي بقبول واسع بين مختلف شرائح الشعب اليمني، فلا يتطلب حشد الشباب فيه سوى خطابات حماسية تحرك عواطفهم وتلهب حماسهم لمواجهة أعداء الإسلام والمسلمين أمريكا وإسرائيل.

القضية الفلسطينية: اعتمد الخوميني على القضية الفلسطينية لكسب تعاطف المسلمين في مختلف أنحاء العالم،ونادى بوجوب نصرة

المستضعفين في كل مكان والوقوف فى وجه المستكبرين ومقاومة الظلم والعدوان، وجعل آخر جمعة في شهر رمضان من كل عام يوماً عالمياً للقدس.

حققت هذه الشعارات الرنانة نجاحاً باهراً وأكسبت إيران قاعدة شعبية بين شعوب المنطقة في بادئ الأمر واعتبروها قدوة يجب على الدول العربية الاحتذاء بها، لذلك تم استثمار القضية الفلسطينية مرة أخرى في لبنان مع تأسيس حزب الله، وبعد ذلك في اليمن مع الحوثيين، الذين ركزوا في خطاباتهم على القضية الفلسطينية لما لها من صدى في نفوس وقلوب المسلمين خاصة اليمنيين، ودائماً ما يصور قادة الحوثيون للعامة أن معركتهم مع إسرائيل وحتى في حروبهم ومشاكلهم مع الدولة صوروا لهم أن الحكومة تحاربهم بأمر من أمريكا وإسرائيل.

وتوفرت في البيئة اليمنية عدة عوامل أعطت لإيران مؤشراً على إمكانية نجاح قوتها الناعمة هناك، واعتمدت على هذه العوامل كأرضية خصبة لإطلاق قوتها الناعمة، ويمكن إيجاز هذه العوامل فيما يلي:

تهميش الزيدية: الزيدية طائفة متفرعة عن الشيعة وتعتبر أقلية بين بقية طوائف الشيعة، وتنتشر في المناطق الشمالية من اليمن، مثل، صعدة، وصنعاء، وعمران، وذمار، والجوف، وحجة.

أما عامل القوة الذي ارتكزت عليه إيران في استغلال الزيدية لإيجاد نفوذ لها في اليمن، فهو أن الزيدية حكمت اليمن لأكثر من ألف عام ، وكانوا أصحاب نفوذ إلا أنهم تعرضوا للتهميش والإهمال في عهد صالح، لذلك نقم كثيرون منهم على هذا الوضع، وصارو يطمحون إلى عودة حكمهم لليمن ومنهم الحوثيون وبدا ذلك بوضوح منذ قيام الثورة الإيرانية حيث جابت المظاهرات المؤيدة للخوميني وللثورة الإيرانية شوارع صعدة فور إعلان نجاح الثورة في إيران[1]، رأت إيران رغبة أتباع المذهب الزيدي في العودة للحكم وفي الطموح الحوثي للسلطة حجر الأساس الذي ستبني عليه مخططها في اليمن، خاصة مع تأثر المؤسسين للحركة الحوثية بأفكار الخوميني والثورة الإيرانية، وقيامهم عام ١٩٨٦ بتدريس مادة مخصصة عن الثورة الإيرانية ومبادئها، للطلاب الملتحقين بالدورات التدريبية في منتدى الشباب المؤمن، وبالفعل شكل هؤلاء وقود الفتنة التي قادها الحوثي.

الأمية وتدني مستوى التعليم: تأتي اليمن في المرتبة الخامسة عربياً من حيث نسبة الأمية وتشير إحصاءات اليونيسيف والأمم المتحدة أن نسبة الأمية في اليمن وصلت إلى ٦٤% في الفترة ما بين ٢٠٠٧-٢٠١١ ،

---

١ الحركة الحوثية- نايف الدوسري ،ص٦٨

وبحسب وثيقة رسمية فإن نسبة الأمية بلغت النصف في محافظات صعدة، والجوف، وحجة، و٤٠% في كل من عمران وذمار، أي أن المناطق التي مهدت للمد الحوثي-الإيراني هي الأعلى أمية.

سياسة النظام السابق: اعتمد الرئيس المخلوع علي عبد الله صالح في حكمه لليمن الذي شبهه بالرقص على الثعابين على لعبة التوازنات لإحكام سيطرته على البلاد، وقامت لعبة التوازنات على مبدأ تقوية خصم لضرب الآخر وفي إطار هذه اللعبة قام صالح بدعم الحوثيين وتقويتهم ليضعف بهم حزب التجمع اليمني للإصلاح أقوى منافس لحزب المؤتمر الشعبي العام حزب صالح نفسه، مستغلاً التضاد الفكري بين الإصلاح والحوثيين، ولم يقتصر دعمه لهم على اعتماده مبلغاً مالياً يصرف لهم من خزانة رئاسة الجمهورية، بل أيضا غض الطرف أحياناً كثيرة عن علاقاتهم المشبوهة بإيران ودعمها لهم.

وحتى في الحروب الست التي خاضتها الدولة مع الحوثيين في صعدة، كانت سياسة صالح تقوم على إضعاف الحوثيين وليس إنهاءهم، فبقاء الحوثيين كان عاملاً مهمًّا في لعبة التوازنات، فالحوثيون يواجهون المد السلفي في صعدة، بالإضافة إلى تسلمه مبالغ طائلة من السعودية تحت ذريعة مقاتلة الخطر الشيعي المقيم على حدودها، ووجد صالح في الحروب مع الحوثيين، فرصة لإضعاف الجيش والفرقة الأولى (مدرع)

التي يقودها علي محسن الأحمر، في مقابل تقوية وتجهيز مؤسسات الأمن التي يقودها أقرباؤه من أجل الحفاظ على توازن القوى في المؤسسات الأمنية والعسكرية لصالحه.

القبيلة: تُعد القبيلة إحدى أهم مكونات البنية الاجتماعية في اليمن، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، ولعبت القبيلة دوراً حساساً في مختلف المراحل التاريخية لليمن، ولاتزال تحافظ على دورها هذا حتى اليوم، فالانتماء للقبيلة يأتي في مقدمة الانتماءات لدى الفرد اليمني خاصة في مناطق شمال اليمن، فمثلاً غادر أفراد الجيش معسكراتهم للالتحاق بقبائلهم عندما كانت في صراع مع الدولة، نفوذ القبيلة هذا ساعد الحوثي في مد نفوذه خارج مدينة صعدة مستفيداً من العداء التاريخي بين أكبر وأهم قبيلتين في شمال اليمن: حاشد وبكيل، وبسبب محاباة الدولة وتمييزها لقبيلة حاشد في عهد صالح على حساب قبيلة بكيل، قام أبناء قبيلة بكيل بدعم الحوثي، حتى انهم قاتلوا في صفوفه في الحرب الرابعة ضد الجيش والدولة، لأنهم يرون في ذلك انتقاماً من السلطة والمملكة العربية السعودية اللتين تدعمان قبيلة حاشد، واستفاد الحوثي من هذا العداء أيضاً في نشر أفكاره وبناء مراكز فكرية في المناطق المعادية لحاشد وسياسة النظام في إقصائهم، مثل قرية بيت أبو نشطان.

الظلم والفساد: بقاء صالح ورموز نظامه في السلطة ٣٣ عاماً، ولّد فساداً استشرى في كافة مؤسسات الدولة ووزاراتها بدون استثناء، بالإضافة إلى أن سياسة صالح في التقرب من كبار شيوخ القبائل وإرضائهم بالأموال والوظائف والمنح الدراسية لأبنائهم وذويهم، جعل من مؤسسات اليمن وخيراته حكراً على فئة معينة، وصنعت فجوة كبيرة بين الطبقات الاجتماعية في اليمن، نتج عن ذلك وجود شريحة واسعة من الناس ناقمة على الوضع وتنتظر الفرصة التي تمكنها من استرداد حقوقها تحت أي راية كانت.

ازداد تمدد النفوذ الإيراني في اليمن بعد ثورة فبراير نتيجة الفوضى السياسية وغياب دور الدولة حيث تمكن الحوثيون في ظل تلك الأوضاع من عقد تحالفات مع الرئيس المخلوع صالح ومن يدينون له بالولاء من رجال المؤسسات العسكرية ورجال بعض القبائل، وخاضوا حروباً في عده مناطق من اليمن حتى وصلوا إلى العاصمة صنعاء وأسقطوها في ٢١سبتمبر ٢٠١٤، وبعد إسقاطهم للعاصمة وتسلمهم زمام الأمور، شكلوا ما يُسمى باللجان الشعبية في المحافظات التي استولوا عليها بحجة المحافظة على الأمن والنظام وعينوا ممثلين لهم في كل مؤسسات الدولة من الوزارات إلى أقسام الشرطة والبنوك والمؤسسات المدنية والعسكرية والأمنية، ومكاتب المحافظات ومراكز المديريات والمحاكم والجامعات واستبدلوا بمحافظي المحافظات التي استولوا عليها،

استبدلوا بهم آخرين يوالوهم، وسيطروا على وسائل الإعلام الحكومية المسموعة والمرئية والمقروءة، ووفقاً لبعض التقارير سيطر الحوثيون وقتها على ٧٠ بالمئة من قدرات الجيش اليمني.

أما جغرافياً: تمدد الحوثيون في المدن والمحافظات اليمنية لفرض نفوذهم وسيطرتهم عليها، وأصبحوا يسيطرون على العاصمة صنعاء بمختلف مؤسساتها ووزاراتها، ومحافظة صعدة معقلهم الرئيسي، وسيطروا على مدينة أرحب الجبلية المطلة على مطار صنعاء الدولي، ومحافظة الجوف الحدودية مع السعودية والواعدة باكتشافات في مجال الغاز، ومحافظة حجة ويوجد بها ميناء ميدي المطل على البحر الأحمر، ومحافظة الحديدة حيث يوجد ثاني أكبر الموانئ اليمنية وتشترك مع السعودية في منفذ حرض البري، ومحافظة ذمار القريبة من العاصمة، بالإضافة إلى محافظتي عمران وإب وأجزاء من محافظة البيضاء ومازالوا يقاتلون هناك للسيطرة على كامل المحافظة التي ستمكنهم من السيطرة على محافظة مأرب الغنية بالنفط والغاز الطبيعي.

ووصل النفوذ الإيراني في اليمن لدرجة أن صنعاء كانت تدار من طهران، ففي إحدى المرات أراد الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي إقناع الحوثيين بالموافقة على تنفيذ أحد قرارات مؤتمر الحوار الوطني،

فما كان منه إلا أن أرسل وزير الخارجية إلى مسقط كي تتوسط لدى طهران بالضغط على الحوثيين للموافقة.

المستقبل: ردود الفعل

لدى إيران ثلاثة سيناريوهات للرد على عاصفة الحزم وإنقاذ نفوذها في اليمن هى الرد العسكري: أصبح من الصعب اليوم أن تحافظ إيران على ما حققته من نفوذ سياسي وجغرافي في اليمن، فإصرارها على إبقاء نفوذها عند نقطة ما حققته قبل عاصفة الحزم يعني تدخلها العسكري في اليمن وخوضها مواجهات عسكرية عند باب المندب، وهذا الأمر يتطلب مجازفة كبيرة غير معهودة على إيران، التي تعتمد في سياستها الإقليمية والدولية سياسة النفس الطويل للتركيز على أهداف بعيدة المدى، وخوض رهان المواجهة مع قوات التحالف العربي المشتركة؛ لن يجلب لها إلا المشاكل والخسائر، خاصة مع تجربتها حرباً لثمان سنوات مع العراق في الثمانينيات، وهناك أكثر من سبب يمنع إيران من خوض الرهان العسكري أهمها:

المشاكل الاقتصادية: حيث تعاني إيران من مشاكل اقتصادية خانقة ارتفعت وتيرتها مع انخفاض أسعار النفط مؤخراً، بالإضافة إلى أن ٢٠ فى المئة من الإيرانيين يعيشون تحت خط الفقر.

الرأي العام الداخلي: يتذمر أغلب الإيرانيين من سياسة دولتهم التي تدعم جبهات قتال في سوريا والعراق واليمن، وحتى دعمها للمقاومة الفلسطينية، فهم يرون أنهم أحق بالمليارات التي تصرفها حكومتهم على هذه الجبهات في وقت هم في أمس الحاجة لهذه المبالغ، لذلك من الصعب على إيران التورط في تدخل عسكري علني وصريح في اليمن.

الاتفاق النووي: حبر الاتفاق النووى الذي يعول عليه الإيرانيون كحل سحري لجميع مشاكلهم لم يجف بعد، وعلى إيران أن تثبت للمجتمع الدولي حسن نواياها وسعيها للسلام وهذا يعني ابتعادها عن أي تدخل عسكري.

دعمها للنظام في سوريا والمليشيات العراقية وحزب الله اللبناني: لم يعد خفياً أن المقاتلين الإيرانيين وأغلبهم من الحرس الثوري يحاربون في سوريا والعراق، إلى جانب المساعدات المالية التي تقدمها إيران والتي تقدر بين مليار ومليارى دولار شهرياً للنظام في سوريا، وبين ١٠٠و ٢٠٠ مليون دولار سنوياً للميليشيات العراقية، وبين ٦٠ و٢٠٠ مليون سنوياً لحزب الله، لذلك ليس من مصلحة إيران التورط في مواجهة عسكرية.

العزلة: المواجهة العسكرية الإيرانية لعاصفة الحزم والتي تشمل السعودية وقطر والبحرين والأمارات والأردن ومصر والسودان أي

تقريبا أغلب الدول العربية في المحيط الإقليمي لإيران، سيترتب عليه قطع علاقات هذه الدول بإيران والتي وصلت لأعلى درجات التوتر إلى أجل غير مسمى، مما سيعرضها لعزله إقليمية كانت قد جربتها في فترة تبنيها لمبدأ تصدير ثورتها بالشكل العلني.

التراجع خطوة للوراء: الرجوع إلى ما قبل ٢١ سبتمبر: تمثل اليمن منطقة نفوذ مهمة لإيران حيث تطل على باب المندب وتمتلك حدوداً برية مع المملكة العربية السعودية، لكن في نفس الوقت، مازال هذا النفوذ غير مستقر بالنسبة لإيران ولم تجن ثماره حتى الآن، بمعنى آخر، إنه لم يضف حتى الآن شيئًا ملموساً ومؤثراً إلى ميزان القوة الإيرانية في المنطقة، وبذلك فقوتها في المنطقة لن تتأثر عملياً في حال رجعت خطوة للوراء في مشروعها باليمن، للملمة أوراقها والعودة من جديد والرجوع خطوة للوراء يعني عودة النفوذ الإيراني إلى ما قبل ٢١ سبتمبر ٢٠١٤يوم إسقاط الحوثيين للعاصمة صنعاء وسيطرتهم على مقاليد الحكم في اليمن، في هذه الحالة ستعمل إيران جاهدة على أن يحافظ الحوثيون على مكانتهم كفصيل مؤثر في المعادلة السياسية اليمنية، حتى يتمكنوا من إحراز نفوذ سياسي على طاولة الحوار وفي هذا الخيار تتحرك إيران على تكثيف الحملات الإعلامية ضد دول التحالف العربي وإظهار أن عاصفة الحزم تقوم بإبادة جماعية للشيعة في اليمن وأن هدفها تدمير اليمن والبنية التحتية فيها، وستعمل أيضاً على إضعاف

التحالف، وبدا هذا واضحاً من تأثيرها على باكستان بشكل أو بآخر لتتخذ موقف الحياد فقد أعلنت باكستان عن حيادها بعد زيارة وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف إلى باكستان في ٨ ابريل، وإدخال سلطنة عمان كوسيط لإقناع دول التحالف بضرورة الحل السياسي السريع للأزمة اليمنية، وهو ما بدأت تركيا تنادي به أيضاً.

التنازل عن نفوذها والعودة إلى نقطة الصفر: الخيار الأخير هو أن تتنازل إيران عما حققته من نفوذ في اليمن وقطع علاقتها بأنصار الله نهائياً، وهذا أمر مستبعد، لعدة أسباب، فاستمرار امتلاك إيران لنفوذ في اليمن أمر بالغ الأهمية في الوقت الحالي، لأن ظروف المنطقة في هذه الفترة مواتية لتحقق إيران حلمها في لعب دور استراتيجي مؤثر في المنطقة، إن لم تكن أساساً تسعى لتكون اللاعب الأهم والأقوى، خاصة مع رغبة الولايات المتحدة فى دعم التواجد بشكل مباشر في المنطقة، وترك إدارة المنطقة للاعبين أقوياء فيها، هذا الأمر يحتم علي ايران التمسك بعلاقتها مع أنصار الله وبنفوذها في اليمن بالإضافة إلى أن الجذب الاستراتيجي لإيران نحو منطقة ما يعتمد على وجود نقطة رخوة، تستطيع إيران النفاذ من خلالها، وتشكل اليمن هذه النقطة الرخوة في شبة الجزيرة العربية، وأخيراً فامتلاك إيران لنفوذ قوي في اليمن يعزز من إحساسها بالأمان في محيطها، فصناع القرار الإيرانيون يشعرون بالخوف والتهديد لأنهم يعيشون في محيط إقليمي مختلف عنهم في

العديد من الأمور، مثل اللغة والفكر والثقافة بالإضافة إلى ذاكرة تاريخية مليئة بالحروب والعداوات ويبقى مستقبل النفوذ الإيراني في اليمن مرهوناً بالعوامل التي تجعل من اليمن نقطة رخوة يسهل اختراقها والتأثير فيها، ما دام اليمن بلداً فقيراً يعاني من الفساد وارتفاع نسبة الأمية وتدني مستوي التعليم للفرد، وتزايد نسبة البطالة عاماً وراء عام مع انعدام تكافؤ الفرص، وتهميش الأقليات، يتولد الشعور بالظلم والرغبة في الانتقام، وهذه هي البيئة الحاضنة للنفوذ الإيراني في اليمن والنفوذ الإيراني في اليمن، جاء نتيجة القوة الناعمة قبل قوة السلاح الصلبة فالقوة الناعمة هي التي صنعت الهدف الذي يقاتل في سبيله حامل السلاح، وإن كان مغلوطاً ويحتاج اليمن إلى دولة مدنية يحكمها القانون، ويتساوى أمامه الجميع، دولة مدنية تنصهر فيها القبيلة والطوائف الدينية، دولة تهتم بالنشء الجديد وتعزز انتماءهم لها أولاً قبل كل شيء، تحميهم من وقوعهم فريسة لأي تطرف.